أثر القرآن الكريم في الاصلاح التربوي

م.م نوفل هادي حسن الجليحاوي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة القاسم الخضراء / كلية التقانات الاحيائية

The Qur'anic curriculum and its impact on the educational process

Nawfal Hade Hasan
Minstry of higher Educatain and Scientific Research
Colleg of Biotechology / AL-Qasim Green University/
nwfeelhady@gmail.com

Abstract

The Qur'anic curriculum and its impact on the educational process

The Holy Qur'an has codified a constitution for a stable life, and a reassuring approach to living, especially that its motto is truth, justice and equality.

The research deals with one of these visions, according to the researcher's vision. It can be divided into three topics

1-The first topic: The effect of the Quranic approach on the reform of the individual

The individual was the subject of the Qur'anic discourse, from the first moment in which the words of revelation embraced the hearings of the Mustafa (peace and blessings of God be upon him and his family). The Almighty said: {Read in the name of your Lord who created the creation of a man from a comment (read). Read) Then the blessed verses rolled in order to organize the relationship of the individual with himself on the one hand and with his community on the other hand.

2-The second topic: The effect of the Quranic approach on family refor

The Almighty said: {O people, I created you from males and females, and made you peoples and tribes to know that I honor you most.

The statement of the Noble Qur'an affirmed in more than one homeland that all people are of one origin (Adam and Eve) and that they are all products of this small family. It is an appreciation and affirmation that society must adopt this system (the family system) which is the nucleus of building for society and has surrounded this The nucleus has special care, especially that it made love and mercy between them

3- The Quranic Approach to Community Reform

The law of Islam embodied in its method and constitution of the Holy Qur'an was not only a law that takes care of the acts of worship between the servant and his Lord only. There are many aspects of this approach developed to contribute to building the whole society, so this approach came to confirm the unity of society and take care of it. The Almighty said: "But the believers are a brotherhood." Your brothers and fear Allah, may you be merciful} to urge that the desired society is a community as if it is one family and that every individual in it is a brother to other members of it, but this brotherhood of faith transforms all positive energy to defend the Islamic community in the event of the risk of hand Of his faith, security and safety.

Keyword: Qur'anic curriculum , impact, the educational process

ملخص البحث

نزل القرآن الكريم دستور لحياة مستقرة، ومنهج عيش مطمئن ولاسيما أن شعاره الحق والعدل والمساواة.

والتدبر في أنوار آياته، يُرشد في كثير منه منهجاً لنظام حركة الفرد والجماعة، ليضمن الحياة المنشودة، والعيش المشار إليه.

فالبحث يتناول شيئاً من تلك الرؤى، وقبساً من أنوار ذلك المنهج وعلى وفق رؤية الباحث يمكن تقسيمه على ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: أثر المنهج القرآني في إصلاح الفرد.

كان الفرد موضوع الخطاب القرآني، منذ اللحظة الأولى التي عانقت فيها كلمات الوحي اسماع المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } [1217]. ومن ثم توالت الآيات المباركة بغية تنظيم علاقة الفرد مع نفسه من جهة ومع مجتمعه من جهة أخرى ومن تلك السلوكيات التي أراد الحق سبحانه وتعالى أن تكون منهجاً له قوله تعالى: { وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }[1218].

المبحث الثاني: أثر المنهج القرآني في اصلاح الأسرة.

قال تعالى: {أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[1219].

إن بيان القرآن الكريم أكد في أكثر من موطن أن الناس كلهم من أصل واحد (آدم وحواء) وأنهم جميعاً نتاج هذه الأسرة الصغيرة، فهو تقدير وتأكيد على أن المجتمع لابد أن يعتمد هذا النظام (نظام الأسرة) الذي هو نواة البناء بالنسبة للمجتمع وقد أحاط هذه النواة برعايةٍ خاصة ولاسيما أنه جعل بينها مودة ورحمة، قال تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[1220]

فقوله عز وجل (لتسكنوا إليها) ليبين أن السكن القلبي والروحي بخلاف لو قال لتسكنوا عندها اشارة الى السكن الجسماني. [1221]

فرابطة الاسرة موضع احترام قد تصل الى حد العبادة قال تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْ هُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } [1222].

3 . المنهج القرآني في اصلاح المجتمع:

لم تكن شريعة الاسلام المتجسدة بمنهجه ودستوره القرآن الكريم، شريعة تحرص على الأعمال العبادية بين العبد وربه فحسب، فهناك جوانب كثيرة في هذا المنهج وضعت لتساهم في بناء المجتمع برمته، فجاء هذا المنهج ليؤكد وحدة المجتمع ويحرص عليها قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [1223] ليحث على أن المجتمع المنشود، هو مجتمع كأنه أسرة واحدة وأن كل فرد فيه هو أخ لغيره من أفراده [1224] لكن هذه الأخوة الإيمانية تحول كل طاقتها الايجابية للدفاع عن المجتمع الاسلامي في حال تعرضه لخطرٍ يداهم عقيدته وأمنه وسلامته قال جل وعلا: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } [1225]

الكلمات المفتاحية: أثر، القرآن الكريم، الإصلاح التربوي

أثر القرآن الكريم في الاصلاح التربوي

[1217] سورة العلق: 1- 2

[1218] سورة لقمان: 19.

[1219]) سورة الحجرات: 1

[1220] سورة الروم: 21

[1221] . ينظر تفسير الكشاف: 3 / 121

[1222] . سورة الإسراء: 23

[1223] . سورة الحجرات: 10

[1224]. ينظر تفسير الرازي: 4 / 437

[1225]. سورة الفتح: 29.

قال تعالى {**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**} وهي الحالة القويمة التي تأخذ بالإنسان إلى المنزلة العليا التي أرادها الله تعالى له، وهذا البحث سيلخص ثلاثة مفاصل تربوية حث عليها القرآن الكريم في آياته المباركة، ففي القرآن الكريم عشرات الآيات التي تهدف إلى تربية كل أنموذج من النماذج المقصودة، لكن الباحث ارتأى انتقاء ثلاثة توجيهات تربوية لكل مبحث.

أما المباحث التي هي فكرة البحث فتتمثل بالآتي:

المبحث الأول: أثر القرآن الكريم في إصلاح الفرد.

المبحث الثاني: أثر القرآن الكريم في إصلاح الأسرة.

المبحث الثالث: أثر القرآن الكريم في إصلاح المجتمع.

المبحث الأول

أثر القرآن الكريم في إصلاح الفرد:

تعد تنشئة الفرد النشأة الصحيحة النواة الأولى في مفاهيم التربية النفسية للإنسان، وقد حرص القرآن الكريم على أن يربي الفرد المسلم على أساس إخلاصه، وولائه لربه، ورسوله ،وعقيدته ،وجماعته المسلمة، وقد استطاعت التربية الإسلامية بالمنهج الرباني، أن تروض نفوس العرب على الانقياد لهذه المشاعر القويمة، والاعتياد لهذا السلوك الكريم، فمنهج التربية الرباني بالقرآن هو الذي يتحكم فيما يذكر من هذه الشروط والتوجيهات في مواجهة الحالات الواقعية المختلفة.

ذلك أنه منهج واقعي عملي حركي، لا منهج نظري معرفي، مهمته بناء (نظرية) وعرضها لذاتها، فكان أول كلام لله لامس اسماع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يهتم بمبدأ التعلم الذي هو الأساس في النظام التربوي. وفي ذلك جاء قول الحق سبحانه:

الإنموذج الأول: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [1226]

فلكل شريعة منهجها الذي تتحرك وفقه، ومبادئها التي تسير في ضوئها، والقرآن الكريم في أولى كلماته في الإصلاح التربوي صدح بتأكيد واضح، وجلي على التعلم وطلب العلم وهما من أهم الطرق لتطوير الذات وتربيتها عند كل فرد.

والقلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرا في حياة الإنسان العلمية، وقد يثار سؤال يقول:(لماذا خص القلم بالتعلم وقد يُستغنى عنه في المستقبل؟) والجواب: هو أن القران الكريم بدعوته هذه كان بصدد بناء حضارة تتواشج وأهداف هذا الدين القويم، كما أن بالكتابة، والقلم بدأت الحضارة، ووصل الينا التأريخ، ونتاجات الامم السابقة، وبهما تطور العلم، ولم تكن حقيقة التعلم وطلب العلم أنذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية.

ولكن الله سبحانه يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول نص من نصوص الرسالة الأخيرة للبشرية المتمثل في أول سورة من سور القرآن الكريم. هذا مع أن الرسول الذي جاء بها لم يكن كاتبا بالقلم، وما كان ليبرز هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى لو كان هو الذي يقول هذا القرآن [1227]

ولعل من أهم ما أشار إليه أهل المعرفة أنه من يستكثر على نفسه الجدَّ والاجتهاد في تحصيل العلم والتعلم فهو يحيا في ضيق وعدم ارتقاء، في حين أن مَنْ يتعلم ويبذل الجهد، يرتقي في المستوى الاجتماعي والاقتصادي؛ ليصل إلى التخصص الدقيق الذي يأتي له بِسعَة الرزق، فالقلم ((نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَقُمْ، وَلَمْ يَصْلُحْ عَيْشٌ))[1228] وقد دل قوله (الأكرم) على كمال كرمه بأنه علّم عبادَه ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة

[1226] سورة العلق :1-5

[1227] . في ظلال القرآن: 6 / 3939.

[1228] . تفسير الطبري: 24 / 527

التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين، ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولاها لما استقامت أمور الدين والدنيا.[1229]

وفي موطن آخر نجد الله جل وعلا يقسم بالقلم، إذ قال عز من قائل: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ }[1230] قَسَمٌ مِنْهُ تَعَالَى، وَتَنْبِيهٌ لِخَلْقِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَعْلِيمِ الْكِتَابَةِ الَّتِي بِهَا تُنَالُ الْعُلُومُ، وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَا يَسْطُرُونَ }.

ونجد كليم الله موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح كان مطيعا كل الطاعة من أجل الزيادة في العلم،قَالَ العلماء:((لَوِ اكْتَفَى أَحَدٌ مِنَ الْعِلْمِ لَاكْتَفَى نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَقُلْ {أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا }[1231]))[1232] ومن الملاحظ أن موسى(عليه السلام) تلطف في الخطاب حيث اتبع طريق الاستئذان ثم صرح بمبتغاه من الصحبة وهو، طلب العلم والرحلة إلى ذلك، ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه، وجاء القرآن بهذه القصة ليعلمنا أدب التعلم ومفاهيمَ أُخَر.[1233]

ومن المبدأ نفسه لم يفتخر نبي الله سليمان (عليه السلام) بالمملكة العظيمة وما سخره الله له، بل افتخر بالعلم وذلك في قوله تعالى على لسانه: (عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ)[1234].

ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه أن يتكلم بحضرة سليمان { فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}.[1235] [1236]

الأنموذج الثاني: قال جل وعلا: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [1237] هذه الآيات حلقة في سلسلة التربية الإيمانية والتنظيم الاجتماعي، والدولة في المجتمع المدني. حلقة من تلك السلسلة الطويلة، أو من ذلك المنهج الإلهي المختار للجماعة المسلمة المختارة، فمعنى (تُصَعِّرْ خَدَّكَ) ((هُوَ الصُّدُودُ وَالْإِعْرَاضُ بِالْوَجْهِ عَنِ النَّاسِ)) [1238] ولا يكون ذلك إلا تكبرًا، وتعظيمًا لأنفسهم، واستخفافا بالناس واستحقارا لهم؛ لمّا لم يروا الناس أمثالا لأنفسهم.

ومن النواهي التربوية الأخرى في الآية الكريمة قوله تعالى: {وَلَا تمَشِ فِي الْأَرْضِ} [1239] فقد ذم الحق سبحانه: المشي على التكبر والتجبر، لأنه يقتل روح المودة بين أبناء المجتمع الواحد. [1240]

[1229]. ينظر تفسير الزمخشري :4 /776

[1230] . القلم :1

[1231]الكهف: 66

[1232] تفسير الرازي :2، /407

[1233]. ينظر تفسير حدائق الروح: 442/16.

[1234] النمل: 16

[1235] السورة نفسها: 22

[1236] ينظر تفسير النيسابوري :1 /233

[1237] لقمان:18. 19

[1238] تفسير مجاهد :1/ 542

[1239] لقمان: 18

[1240] ينظر تفسير الماتريدي:308/8

ومثله كل (المُخْتال الفَخُور) يعني به عز من قائل: كل بطر مرح فخور في نعم الله تعالى لا يأخذها بالشكر، (وَالقْصِدْ فِي المَشْيِ) أي: لا تختل في مشيك ولا تبطر حيث لا يحل، (وَاغْضُضْ): يعني واخفض مِنْ صَوْتِكَ يعني من كلامك فقد أمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والمنطق.[1241]

وقد جاء في آية أخرى قال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[1242] وذلك هو جزاء الَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ و العلو هو التكبر بغير حق، و التجبر والطغيان فيها، من ثم قال (وَلا فَسادا) ،يعني لا يريدون المعاصي في الدنيا، والعلو أيضا خطرات في القلب، والفساد فعل الأعضاء والمتجنب لتلك وهذا استحق الجنة قراره [1243].

لا تتكبر على الحق، ولا على الخلق، فإن التكبر من أرذل الأخلاق، والمتكبر المعجب بنفسه لن يبلغ ما يظنه وتطمح له نفسه من الخيالات الفاسدة من أنه في مقام رفيع على الخَلق، بل هو ممقوت عند الله وعند خلقه، مبغوض محتقر قد نزل بِخُلقه هذا إلى أسفل سافلين. [1244]

ويقول جل وعلا في معرض حديثه عن هلاك فرعون: {إِنَّهُ كانَ عالِياً}[1245] وهذه خاتمة الصفات في الآية، تقرر، وتوحي للنفس بهذه الحقيقة وهي أن:

التفرد بالعلو هو لله سبحانه وتعالى، فهو المتفرد بالعلو، الموصوف بالعظمة، لا ينازعه الملك أحد من العبيد إلى هذا المقام إلا ويرده الله إلى الذل والهون وإلى العذاب في الآخرة [1246].

مما تقدم نوجز القول: إنه من كان يريد أداء الخدمة المنوطة به في الحياة، فعليه أنْ يؤديها، لا للتّعالي لأنه حينئذ سيأخذ حظه من العُلُو والغَلَبة في دار الدنيا وتنتهي المسألة، أمّا إنْ فعل ذلك وفي باله ربُّه، وفي نفسه أنْ يُيسِّر للناس مصالح الحياة، فإنه يُرقِّي عمله ويُثمِّر، ويظل له أجره، طالما أنه أوجد العمل الذي ينتفع الناس به إلى أنْ تقوم الساعة، وهذا أعظم تصعيد لعمل الإنسان.

الأنموذج الثالث: قال تعالى شأنه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فتوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [1247].

ذكر الله جل وعلا أنه برحمة منه أن جعل رسوله رحيماً رؤوفاً بالمؤمنين، حيث قال: فبرحمة مِّنَ الله لِنْتَ لَهُمْ يا محمد أني لينت لهم جانبك، وكنت رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ أي: خشناً في القول والفعل لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ أي لتفرقوا من عندك، ولكن الله جعلك سهلاً سَمْحاً طلقاً ليناً لطيفاً باراً رحيماً. [1248]

وذكر بعضهم من أن الْمَقْصُودَ مِنَ الْبِعْثَةِ أَنْ يُبَلِّغَ الرَّسُولُ رسالة الله تعالى إِلَى الْخَلْقِ، وَهَذَا الْمَقْصُودُ لَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا مَالَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَيْهِ وَسَكَنَتْ نُفُوسُهُمْ لَدَيْهِ،وقد وصف الحق رسوله بأنه كان بالمؤمنين رَحِيمًا كَرِيمًا، يصفح عَنْ ذَنْبِهِمْ، وَيَعْفُو عَنْ إِسَاءَتِهِمْ اليه، ولا يلقون منه الا وجه البر والعفو والرحمة... وقد كان صلى الله عليه واله وسلم مضرب مثل بحسن الخلق والتواضع والميل للفقراء والضعفاء والمعوزين، يبرهم بإحسانه ويتجَاوَزِ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، كما كان كَثِيرَ الصَّفْحِ عَنْ زَلَّاتِهِمْ [1249].

[1241] تفسير الطبري :3/ 435

[1242] القصص:83

[1243] ينظر تفسير بحر العلوم :2/ 622

[1244] ينظر تيسير اللطيف المنان :1/ 62

[1245] الدخان :31

[1246] في ظلال القرآن:1/ 290

[1247] آل عمران :159

[1248] ينظر تفسير بحر العلوم :1 330

[1249] تفسير الرازي :407/9

هذا يعني أن الداعية لا بُدَّ أن يكون رَحْب الصدر، رَحْب الساحة؛ ذلك لأنه يُخرِج أهل الضلال عما أَلِفوه إلى شيء يكرهونه، فلا تُخرجهم من ذلك بأسلوب يكرهونه، فتجمع عليهم شدتين، إنما تلطَّفْ معهم، كما قال عَزَّ وَجَلَّ لموسى وهارون عليهما السلام عندما أمرهما بدعوة فرعون[1250]: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يخشى} [1251]ومنه يفهم أن التسامح والرحمة وكل ما ذُكر من صفاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هي من أهم الأمور التي يراعيها المسلم في تعاملاته اليومية كي يكون المرآة التي تعكس صورة الاسلام لكل العالم.

هذا من جهة ومن جهة أخرى إن كل من يحمل رسالة وغايتها المجتمع فلابد أن تكون هذه الآية دستوره في التعامل ومن بين هؤلاء الرساليين (المعلم) بجميع مراتبه ومسمياته.

ومن المبحث الأول يمكن أن نستقي المبادئ التربوية الآتية:

1. يعد التعلم من أهم الخطوات التي يخطوها الفرد في ميدان الاصلاح التربوي، وهو مفخرة وبه فخر نبي الله سليمان عليه السلام من دون عظيم النعم التي انعم الله عليه بها.
2. من آداب التعلم حفظ المقام بين المعلم والمتعلم كما مر في الحديث عن نبي الله موسى (عليه السلام)
3. لا يمكن أن يقف التعلم عند حد معين بل ينبغي ان يستمر الفرد في طلبه ما تمكن من ذلك، وكليم الله عليه السلام المثل في ذلك ،حين طلب من العبد الصالح الاستزادة من العلم مع علمه الذي وهبه الله له.
4. الفرد جزء من المجتمع وبناؤه يعني بناء المجتمع، وهذا يستوجب تهذيبه من التكبر، والخيلاء، والاخلاق الفاسدة الأخرى.
5. لعل أهم ما يميز الانسان عن غيره من المخلوقات هو الرحمة تجاه أبناء جنسه، ومحيطه، لذلك أكد عليها القران الكريم قيمة انسانية مثلى.

المبحث الثاني: أثر القرآن الكريم في إصلاح الأسرة.

اهتم القرآن الكريم في بناء الاسرة والحفاظ عليها بوصفها لبنة من لبنات المجتمع وهيكل من هياكل قوامه، والحفاظ عليها يعني الحفاظ على المجتمع كله، وقد وردت في الذكر الحكيم آيات مباركة اهتمت بالجانب التربوي المتعلق بالأسرة، وسيمر الباحث على بعضها ويقف على الأهداف والسلوكيات المستفادة من تلكم المبادئ.

الأنموذج الأول: قال تعالى: {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [1252] تتناول الآية المباركة جانبا من جوانب أسرة نبي الله يعقوب عليه السلام، فقد كان له مجموعة من الابناء، وقد كان يميل بقلبه كثيرا لولديه (يوسف وأخيه) ويوليهما من المحبة أكثر من باقي أولاده [1253].وقد ولَدت هذه التمايزية في المحبة بغضا، وحقدا على يوسف وأخيه من قبل أخوانهما[1254].

فالآية المباركة تكشف جانبا تربويا للأسرة: علاقاتها بعضها ببعض، علاقة الآباء بالأبناء، وعلاقة الأبناء بعضهم مع بعض، وعلاقات أبناء العائلات، كيف يختصمون وكيف يجتمعون، وما يؤدّي الحسد بين أبناءها؛ بسبب ما تثور به النفوس الضعيفة، وكيف تتصور ما ليس واقعًا على أنه واقع، ثم ما يؤدي إليه الاندفاع بدافع الحسد المقيت. [1255]

[1250] ينظر تفسير الشعراوي :10438/17

[1251] طه: 44

[1252] يوسف :5

[1253] ينظر محاسن التأويل :6 /154

[1254] ينظر نظم الدرر: 51/10

[1255] ينظر المعجزة الكبرى القران :379

أدرك أبوه يعقوب (عليه السلام) بحسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأناً عظيماً لهذا الغلام، لم يفصح هو عنه، لهذا نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته، خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير غير الشقيق، فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم، فتمتلىء نفوسهم بالحقد، فيدبروا له أمراً يؤذيه[1256].

لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ: فيه إشارة إلى بعض آداب المربين كي لا يجعلوا للتفرقة مكانا بين الاخوة وفيه أيضا قالوا: إنه لا ينبغي لهم أن يفشوا السر إلا لشيوخهم أو آبائهم وألا يقعوا في ورطة ويكونوا مرتهنين بعيون الغيرة وعلى هذا المعنى جاء قول الشاعر: [1257]

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم... وكذا دماء البائحين تباح

(فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً) ((هذا من الإلهامات المجملة وهي انذارات وبشارات، ويجوز أن يكون علم (عليه السلام) ذلك من الرؤيا قال بعضهم: إن يعقوب دبر ليوسف (عليهما السلام) في ذلك الوقت خوفا عليه فوكل إلى تدبيره فوقع به ما وقع ولو ترك التدبير ورجع إلى التسليم لحفظ))[1258]

من العبر المستقاة من الآية المباركة إن الانسان لا يستعجل في الإخبار عن حوائجه وخصائصه كما جاء في أمثالهم: (استعينوا في قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود)[1259]

الأنموذج الثاني: قال جل وعلا: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [1260]

وقال تعالى شأنه: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [1261]..المنهج الإسلامي في التربية يربط بين العبادة وحقائق العقيدة في الضمير، ويجعل العبادة وسيلة لاستحياء هذه الحقائق وإيضاحها وتثبيتها في صورة حية تتخلل المشاعر ولا تقف عند حدود التفكير ((فَقَدْ قَرَنَ بَيْنَ عِبَادَتِهِ وَبَيْنَ الْإِحْسَانِ لِلْوَالِدَيْنِ فِي الْوُجُوبِ))[1262] فهي وصية لجنس الإنسان كله، قائمة على أساس إنسانيته، بدون حاجة إلى أية صفة أخرى وراء كونه إنسانا. وهي وصية بالإحسان مطلقة من كل شرط ومن كل قيد، أما قوله تعالى: {وقولوا للناس حسناً}[1263] بمعنى لتكن مخاطبتكم للناس بالحسنى. وقال المؤولون: إن الجملة تشمل حسن التعامل مع الناس وقول الحق وفعل الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1264].وجاء في الآية الكريمة الأمر بإقامة الصلاة فهي صلة الفرد الضعيف الفاني بمصدر القوة والزاد، والزكاة صلة الجماعة بعضها ببعض والتأمين من الحاجة والفساد. والاعتصام بالله العروة الوثقى التي لا تنفصم بين المعبود والعباد.

[1256] ينظر الكشف والبيان:206/5

[1257] البيت من الكامل وهو لشهاب الدين السهروردي. ينظر نفح الأزهار في منتخبات الأشعار:7

[1258] روح المعاني: 71/7

[1259] ينظر المحاسن والاضداد:45

[1260] البقرة: 83

[1261]الإسراء: 23

[1262] تفسير القرطبي، :7/5

[1263]) البقرة :83

[1264] ينظر التفسير الحديث، :6/ 189

بهذه العدة تملك الأمة المسلمة أن تنهض بتكاليف الوصاية على البشرية التي اجتباها لها الله، وتملك الانتفاع بالموارد والطاقات المادية التي تعارف الناس على أنها مصادر القوة في الأرض، والقرآن الكريم لا يغفل من شأنها، بل يدعو إلى إعدادها، ولكن مع حشد القوى والطاقات والزاد الذي لا ينفد، الذي لا يملكه إلا المؤمنون بالله[1265].

وفي آية أخرى قال الحق سبحانه: {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [1266] فإذا كان والدي لهما هذا الحق، فكذلك من قام بتربيتي من غير الوالدين، فله هذا الحق أيضاً! ما دام قد ألحق بالوالدين في علة الإحسان، فالمعلم هو النصف الثاني الذي يقابل الأسرة في تربية الاجيال ،ومن الملاحظ والمؤكد انه إذا صلح التعليم صلح وتقدم البلد.

الأنموذج الثالث قال تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[1267]

هنا نطلع على سماحة الإسلام، الذي يقبل الإنسان كما هو، بميوله وضروراته لا يحاول أن يحطم فطرته باسم التسامي، والتطهر ولا يحاول أن يستقذر ضروراته التي لا بد له فيها إنما هو مكلف إياها في الحقيقة لحساب الحياة وامتدادها ونمائها! إنما يحاول فقط أن يقرر إنسانيته ويرفعها، ويصله بالله وهو يلبي دوافع الجسد.

يحاول أن يخلط دوافع الجسد بمشاعر إنسانية أولاً، وبمشاعر دينية أخيراً، فيربط بين نزوة الجسد العارضة ،وغايات الإنسانية الدائمة ورفرفة الوجدان الديني اللطيف ويمزج بينها جميعا في لحظة واحدة، وحركة واحدة، واتجاه واحد، ذلك المزج القائم في كيان الإنسان ذاته، خليفة الله في أرضه، المستحق لهذه الخلافة بما ركب في طبيعته من قوى وبما أودع في كيانه من طاقات [1268] والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين، وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة. ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكنا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارا للحياة والمعاش، وأنسا للأرواح والضمائر، واطمئنانا للرجل والمرأة على السواء.

والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويرا موحيا، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا.....وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}[1269] [1270] ثم شاء أن يجعل الزوجين في الإنسان شطرين للنفس الواحدة قال جل جلاله:{يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها } [1271]

وأراد بالتقاء شطري النفس الواحدة بعد ذلك فيما أراد، أن يكون هذا اللقاء سكناً للنفس، و هدوءً للعصب، وطمأنينة للروح، وراحة للجسد،ثم ستراً وإحصاناً وصيانة، ثم مزرعة للنسل وامتداد الحياة، مع ترقيها المستمر، في رعاية المحصن الساكن الهادئ المطمئن المستور المصون [1272].

[1265] ينظر في ظلال القران :2446/2

[1266] الإسراء:24

[1267] الروم: 21

[1268] ينظر في ظلال القرآن: 648/2

[1269] الروم: 21

[1270] ينظر في ظلال القرآن: 6/ 3595)

[1271] النساء:1

[1272] ينظر التفسير الواضح: 352/1

المنهج القرآني في التربية يربط بين القلب ومشاهد هذا الكون وينبه الحس الخامد، والذهن البليد، والقلب المغلق، إلى بدائع صنع الله المبثوثة حول الإنسان في كل مكان كي يرتاد هذا الكون الحي بقلب حي يشاهد الله في بدائع صنعه، ويشعر به كلما وقعت عينه على بدائعه ويتصل به في كل مخلوقاته.

ومن النماذج في أعلاه يمكن أن نستقي القيم الاتية:

1- أولى القرآن الكريم اهتماما كبيرا بعماد الأسرة في كل مجتمع (الابوين) ومن اهتمامه انه جعله ميثاقا بعد ميثاق عبادته.

2. ان الله تبارك وتعالى حث على الاحسان للوالدين من دون ذكر أي علاقة بإيمانهما ،ليفهم أن ذلك ما تقتضيه الانسانية قبل الدين.

3. حث القرآن الكريم على مبدأ المحبة ،والرحمة كأساسين لارتباط الرجل بالمرأة، وأن دوام هذا الارتباط بدوام هذين العنصرين.

4. ومن القيم التربوية المستوحاة من النصوص في أعلاه أهمية لمساواة بين أبناء الأسرة الواحدة، إذ إن التمييز بينهم يولد كراهية تجاه بعضهم البعض

المبحث الثالث: أثر القرآن الكريم في إصلاح المجتمع.

إن شريعة الله للناس هي طرف من قانونه الكلي في الكون. فإن تنفيذ هذه الشريعة لا بد أن يكون له أثر إيجابي في التنسيق بين سيرة الناس وسيرة الكون، والشريعة ما هي إلا ثمرة الإيمان لا تقوم وحدها بغير أصلها الكبير، فهي موضوعة لتنفذ في مجتمع مسلم، كما أنها موضوعة لتساهم في بناء ذلك المجتمع، وهي متكاملة مع التصور الإسلامي كله للوجود الكبير وللوجود الإنساني، ومع ما ينشئه هذا التصور من تقوى في الضمير، ونظافة في الشعور، وضخامة في الاهتمامات، ورفعة في الخلق، واستقامة في السلوك... وهكذا يبدو التكامل والتناسق بين سنن الله كلها سواء ما نسميه القوانين الطبيعية أم ما نسميه القيم الإيمانية.. فكلها أطراف من سنة الله الشاملة لهذا الوجود.

وبما أن الإنسان كذلك قوة من قوى الوجود، وعمله وإرادته، وإيمانه وصلاحه يؤثر في هذا الوجود، فلذلك جاء اختيار النص القرآني وما أشار اليه في اصلاح المجتمع.

الأنموذج الأول: قال تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ }[1273] هذه الآية تقيم سياجا آخر في هذا المجتمع الفاضل الكريم، حول حرمات الأشخاص وكراماتهم وحرياتهم، بينما هي تعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم، في أسلوب مؤثر عجيب،وتبدأ على نسق السورة بذلك النداء الحبيب: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)) [1274] ثم تأمرهم باجتناب كثير من الظن، فلا يتركوا نفوسهم عرضة لكل ما يهجس فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك. وتعلل هذا الأمر ((إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)) [1275]. وما دام النهي منصبا على الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إيحاء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيّء أصلا، لأنه لا يدري أي ظنونه تكون إثما!

بهذا يهذب القرآن الكريم الضمير من داخله كي لا يتلوث بالظن السّيّئ والوساوس الباطلة، فيقع في الإثم والذنب ويحرص لأن يكون نقيا بريئا من الهواجس والشكوك، أبيض يكن لإخوانه المودة التي لا يلوثها ظن السوء، والبراءة التي لا يشوبها الريب والشكوك، والطمأنينة النقية التي لا يعكرها القلق والتوقع، وما أروع تلك الحياة المرسومة في مجتمع محب للخير بقدر محبته للحياة بريء من الظنون![1276]

[1273] الحجرات :12

[1274] من السورة نفسها والاية نفسها

[1275] من السورة نفسها والاية نفسها

[1276] في ظلال القرآن:3345/6

ولكن الأمر لا يقف في الإسلام عند هذا الأفق الكريم الوضيء في تربية الضمائر والقلوب، بل إن هذا النص يقيم مبدأ في التعامل، وسياجا حول حقوق الناس الذين يعيشون في مجتمع نظيف، فلا يؤخذون بظنة، ولا يحاكمون بريبة ولا يصبح الظن أساسا لمحاكمتهم، ومن ثم لا يصح أن يكون أساسا للتحقيق معهم، ومعنى هذا أن يظل الناس أبرياء، مصونة حقوقهم، وحرياتهم، واعتبارهم، حتى يتبين بوضوح أنهم ارتكبوا ما يؤاخذون عليه. فأي مدى من صيانة كرامة الناس، وحرياتهم، وحقوقهم، واعتبارهم ينتهي إليه هذا النص[1277]؟!

قد يأتيني رجل التاريخ بمنهجه من الغرب، ويقول: إن الثورة الفرنسية هي التي أعلنت حقوق الإنسان، هنا يجب أن تكون عندنا مناعة وترابط، ونقول له: انتم لا تعلمون أن الدين الإسلامي جاء منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا بحقوق الإنسان وفصل القول فيها، وثبت مبدأ إن للناس حرياتهم وحرماتهم وكراماتهم التي لا يجوز أن تنتهك في شكل من الاشكال،بغض النظر عن الزمان والمكان، لماذا لا تلتفت إلى أنه منذ ذلك الوقت جاء الإسلام بهذا المبدأ والتفت إلى الإساءة في استعمال الحق، وأقر بحقوق الانسان، فإذا كان المتكلم عن الغرب يجهل تشريع الله فلا يصح أن يؤدي به جهله إلى طمس معالم الحق في منهج الله ودستوره.[1278]

الأنموذج الثاني: قال تعالى: {وَ يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ لَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[1279]

هذا هو قول شعيب ينهى قومه عن آفة اجتماعية تهدف الى سلب حقوق الاخرين من أبناء المجتمع الواحد وهي نقص الكيل في الميزان غير،أن المستغلين الشرهين من قوم شعيب لم يتمالكوا أنفسهم من الغضب والاستعلاء، وأخذوا يتبجحون بأن المال الذي يكتسبونه من تجارتهم هو مالهم الخاص، ولذلك فهم فيه أحرار يفعلون به ما يشاؤون، ويتصرفون فيه كيف يريدون، ورفضوا تقييد حريتهم بأي قيد في معاملاتهم التجارية التي اعتادوها، فهم حريصون على اكتساب أكبر ربح ممكن، بأقل عوض ممكن، وهم يعتبرون هذا الأسلوب في التجارة هو أسلوب التجار العقلاء الراشدين في معاملاتهم، وما دونه سفه وبله.[1280]

والقضية هنا هي قضية الأمانة والعدالة، فالسرقة في الكيل رذيلة تمس نظافة القلب واليد، ومكافحة السرقة الخفية سواء قام بها الأفراد أم قامت بها الدول، واجب لانه ضمانة لحياة إنسانية أفضل، وضمانة للعدل والسلام في الأرض بين الناس، وهي الضمانة الوحيدة التي تستند إلى الخوف من الله وطلب رضاه، فتستند إلى أصل ثابت، لا يتأرجح مع المصالح والأهواء، هذه هي نظرة الإسلام، وهي تختلف من الجذور مع سائر النظريات الاجتماعية والأخلاقية التي ترتكن إلى تفكير البشر وتصوراتهم وأوضاعهم ومصالحهم الظاهرة لهم، وهي حين تستند إلى ذلك الأصل الثابت ينعدم تأثرها بالمصالح المادية القريبة كما ينعدم تأثرها بالبيئة والعوامل السائدة فيها.[1281]

وقد ورد مثل هذا المعنى في قوله تعالى:{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الذين إِذَا اكتالوا عَلَى الناس يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}[1282].

وهذه الآية أيضا تبين الأسس العامة لقواعد النظام الاقتصادي والاجتماعي في الإسلام، وتوضح مصير مجموعة من الفاسقين الظالمين، بسبب السرقة في الكيل والميزان، وما يؤدي ذلك إلى التكذيب بيوم الجزاء والحساب.

[1277] ينظر الأساس في التفسير: 5414/9

[1278] تفسير الشعراوي :1976/4

[1279] هود :85

[1280] ينظر التيسير في أحاديث التفسير: 139/3

[1281] ينظر في ظلال القران: 1917/4

[1282] المطففين: 13

ومن ثم صف أولئك السارقون الكافرون القرآن بأنه أساطير الأولين، فجاء التهديد لأولئك الفجار بسوء الحساب وإصلاء الجحيم، وفي الوقت نفسه تبرز منزلة الأبرار في جنان النعيم، وتبين ألوان النعم التي ينعمون بها، وتذكّر بمواقف الفجار من المؤمنين واستهزائهم منهم في الدنيا، وسيلقى كل فريق جزاءه العادل.[1283]

لقد خلق الحق سبحانه الكون على نظام دقيق، ونرى ذلك في الأشياء التي لا دخل للإنسان فيها، ونجدها في منتهى الدقة، والاستقامة، فمثلا الشمس ،والكواكب ،والفصول ،والرياح، وحركات الكواكب، كل ذلك جاء من نظام في منتهى الدقة، لكن الفساد يأتي عندما تدخلت يد البشر بغير منهج الله. إذن فالفساد هو الذي يصرف الناس عن منهج الله، ونجد بعضاً من الناس يركبون رؤوسهم ويظنون أن ما يفعلونه هو الصلاح [1284]، فينطبق عليهم قول الحق:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون }.[1285] والذي يترك الإصلاح ويعمل بفساد الأرض يكن نصيبه الهلاك قال تعالى:{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ }.[1286] أن الإسلام منهج حياة كما كان منهج عقيدة فهي اذن فهو نظام متكامل، فحين يحرم التعامل الربوي يقيم نظمه كلها على أساس الاستغناء عن الحاجة إليه، بحيث لا يكون الربا المورد الوحيد الذي يظن أنه ينفع لمثل تلك الأمور، ثم بمنهجه جاء لينظم جوانب الحياة الاجتماعية بحيث تنتفي منها الحاجة إلى هذا النوع من التعامل، من دون المساس بالنمو الاقتصادي والاجتماعي والإنساني الذي أقره الإسلام. [1287]

لكن هذه المنهجية لا يمكن أن تقود المجتمعات نحو الاستقرار الاجتماعي ما لم يكن هناك رقابة من التقوى الإنسانية في ضمير الانسان الذي في تجلياته الأولى كان فطرة الله، لتنفيذ التشريعات ،والتنظيمات ،وهذه التقوى لا تتحرك تجاه التشريعات والتنظيمات إلا حين تكون صادرة من الجهة المطلعة على السرائر، الرقيبة على الضمائر.

عندئذ يشعر الفرد وهو ينوي ان يكسر القانون السماوي والدستور الالهي أنه يخون الله، ويعصي أمره، ويصادم إرادته وإذا كان الله لا تخفى عليه خافية في السموات والأرض، عندئذ تتزلزل أقدامه، وترتجف مفاصله، ليقينه ان الله أعلم بعباده، وأعرف بفطرتهم، وأخبر بتكوينهم النفسي والعصبي وهو خالقهم.[1288]

الإنموذج الثالث: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [1289]

الآية المباركة جاءت لتهذب النفوس من صفات الجاهلية وذلك أَنَّهم كانوا يميلون مع شهواتِ نفوسهم، لم يردعهم أمر من اللَّه ولا زجرهم، فكانوا يسخرون من بعضهم ويتنابزون بالألقاب المشينة، والصفات الذميمة ،فلا رادع عقائدي او اجتماعي، هم الى الضلال أقرب، والى الهاوية الصق ،إلى غير ذلك من أخلاق تلك النفوس السقيمة والارواح الضالة [1290].

لان الإسلام منظومة أخلاقية فلا يزال يربي النفوس ويهذب من طباعها عبر نصه المقدس القران الكريم الذي نسمعه((في هذه الآية المباركة يتخيل المؤمن كأنما يهتف الله للمؤمنين بالنداء الايماني: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا))، وينهاهم أن يسخر قوم من قوم، أي

[1283] التفسير الوسيط للزحيلي :2838/3

[1284] ينظر تفسير الشعراوي:6/ 3273

[1285] البقرة: 11-12

[1286] هود :117

[1287] الأساس في التفسير :640/1

[1288] في ظلال القران :577/1

[1289] الحجرات:11

[1290] الجواهر الحسان: 271/5

رجال من رجال، فلعلهم خير منهم عند الله من حيث العمل، لان المعيار الحقيقي عند الحق سبحانه هو العمل الصالح، ومثلهم النساء، فلعلهن خير منهن في ميزان الله، وفي التعبير إيحاء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويراها النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية، التي يزن بها الله تعالى الناس، فهناك قيم أخرى، قد تكون خافية عليهم، يعلمها الله، ويزن بها العباد[1291].

. ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين ولكن القرآن لا يكتفي بهذا الإيحاء، بل يستجيش عاطفة الأخوة الإيمانية، ويذكر الذين آمنوا بأنهم نفس واحدة من يلمزها فقد لمزهم جميعاً!(تَلْمِزُوا): واللمز: العيب. وفي المراد به هنا ثلاثة أوجه:[1292]

أحدها: لا يطعن بعضكم على بعض.

الثاني: لا تختالوا فيخون بعضكم بعضاً.

والثالث: لا يلعن بعضكم بعضاً،

ولكن للفظة جرسا وظلا فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية ومن السخرية واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعيبا، ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به– ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا، هل أحد منا يلمز نفسه؟ لا. ولكن الإنسان يلمز خصمه، ولمز الخصم يؤدي إلى لمز النفس لأن خصمه سيلمزه ويعيبه أو لأنهما سواء. [1293]

التَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَمِلَ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابَ عَنْهَا فَنُهِيَ أَنْ يعير بما سلف عن عَمَلِهِ، بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ، [1294] وقد غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أسماء وألقابا كانت في الجاهلية لصحابها، أحس فيها بحسه المرهف، وقلبه الكريم، بما يزري بأصحابها، أو يصفهم بوصف ذميم، هذا المجتمع الذي تربطه آصرة واحدة– آصرة العقيدة– حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان، واللغات والألوان، وسائر هذه الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان.

هذا المجتمع الذي يسمع الله يقول له: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [1295]، والذي يرى صورته في قول النبي الكريم: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)). [1296]

إن النفس البشرية ليست كاملة في واقعها ولكنها في الوقت ذاته قابلة للنمو والارتقاء، حتى تبلغ أقصى الكمال المقدر لها في هذه الأرض، واختيارنا لهذا الآيات المباركات ما هي ألا جزء من الدستور القرآني الذي جاء لصلاح المجتمع وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة.

إن مخافة الله بالغيب هي قاعدة هذه العقيدة في ضمير المسلم، القاعدة الصلبة التي يقوم عليها بناء العقيدة، وبناء السلوك، وتناط بها أمانة الخلافة في الأرض بمنهج الله القويم، فتكون كما قال عنه تعالى شأنه: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ. تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [1297] وختاما فهناك قيم تربوية رائدة ترسمها الآيات القرآنية في النماذج الثلاثة يختصرها الباحث بالآتي:

[1291] في ظلال القران: 3344/6

[1292] ينظرالنكت والعيون :232/5

[1293] ينظر في ظلال القران :3344/6

[1294] ينظر تفسير البغوي :4/ 261

[1295] الحجرات :10

[1296] مسند أحمد:323/30

[1297] آل عمران :110

وختاما فهناك قيم تربوية رائدة ترسمها الآيات القرآنية في النماذج الثلاثة يختصرها الباحث بالآتي:

1- إن بناء المجتمعات ينبغي أن يبدأ بالأفراد أولا ومن ثم التعامل بين أولئك الافراد وحفظ المثل العليا لكل فرد من أفراده.

2- السخرية وتبادل الالقاب التي تؤثر في البناء النفسي للإنسان، تلك أمراض اجتماعية يجب استئصالها؛ لأنها إن استشرت فإنها تعني الفتك بذلك المجتمع.

3- الحث على حفظ ابسط حقوق الفرد بالمجتمع (ايفاء حقه بالميزان)، هي قيمة صغرى يبدأ بها القران الكريم ليؤكد حقيقة انسانية كبرى وهي (لا تبخسوا الناس أشياءهم) فالإنسان بشعوره أنه منصف من لدن مجتمعه يعزز ثقته بنفسه ويعمل مخلصا وفقا لذلك الانصاف.

4- من المشاكل التي تهدد الاستقرار الاجتماعي هي سوء الظن، والتجسس، والغيبة، وغيرها التي حث القرآن الكريم على نبذها لكي ينعم المجتمع بأروع حالات المحبة ،والآخاء ،والتسامح وهي قيم انسانية عليا تسعى المجتمعات الحديثة لتحقيقها.

المصادر

القرآن الكريم

1) . إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

2) . أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، **تفسير مجاهد** ،دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط 1، 1410 هـ.

3) . أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، **تفسير مقاتل بن سليمان**

4) دار إحياء التراث – بيروت ط 1 – 1423 هـ.

5) . أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، **بحر العلوم** (الاسم الكامل)

6) . أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تفسير الماوردي = النكت والعيون دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

7) . أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي **معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي**، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط 1، 1420 هـ.

8) . أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية،ط 1، 1422هـ.

9) . أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3 – 1407 هـ4

10)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط 1420،3 هـ

11)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط 2، 1384هـ

12). سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط17.
13). دروزة محمد عزت، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة،1383 هـ.
14). شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1415 هـ
15). محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي – الخواطر**، مطابع أخبار اليوم.
16) –محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)** دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط 1، 1426 هـ
17). محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن** مؤسسة الرسالة،ط 1 1420 هـ.
18). محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة **المعجزة الكبرى القرآن**، دار الفكر العربي.
19). محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 – 1418 هـ.
20). نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**،
21)دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1– 1416 هـ.